كيف نشأت الدعوى الباطلة بألوهية المسيح ؟

عندما ولد المسيح ـ عليه السلام ـ من أم بغير أب، بإرادة من الله تعالى، وسمعت العامة من اليهود وغيرهم بهذه الولادة العجيبة، وأقرت بهذه المعجزة الخارقة، تحيرت أفكارهم، وصدمت عقولهم، **ولطول الأمد بينهم وبين موسى ـ عليه السلام ـ ، ولما فعلته الخمسمائة والألف سنة التى فصلت بينه وبينهم من تقسية قلوبهم ونسيانهم للدين، لروح التشريع الإلهى**، لما أتى به الرؤساء الدينيون لليهود من تشويه للحقائق التى أوحى بها إلى موسى، وتضييع لمعالم الناموس، ولشك الكثيرين منهم وقتئذ فى الأديان، واضطراب الأفكار الدينية بينهم من تسلط الوثنية عليهم، ولتمكن الرومان الكفرة منهم، ولتأثر الناس عامة بالهيئات الحاكمة، ولخضوع أفكارهم للفئة المستعمرة التى كانت مسيطرة على البلاد، وللتقليد الذى تنزع إليه الشعوب المحكومة للأمم ذات السيادة طمعًا فى الجاه، وحبّاً فى التزلف والتملق والرياء، كل هذه الحالات الفكرية المضطربة. والانفعالات النفسية المختلفة، كانت عامة الناس وقتئذ تنوء تحتها ، فجعلت بعضهم يشذ فى تفكيره أو يجنح إلى تصديق المحالات.

والعامة يتزعمهم أحدهم مادام يفوقهم فى ناحية من نواحى المكر والدهاء، ويؤثر فيهم كل من كان على شىء من الذكاء، فيقودهم كما أراد، ويسيرهم كما يشاء، والشعوب إذا ما وثقت فى شخص ما، أصبحت رهن إشارته وطوع إرادته، ولو اختار لهم أوعر الطرق، وأردأ المسالك والمنافذ.

والعامة كذلك سريعو الانقلاب، شديدو التأثر، كثيرو النسيان، قد يتركون الصالح للطالح، وقد يسلكون وعر الطريق دون سلسها.

وغالبية الناس أيام ابن مريم كانوا متأثرين بالأفكار الوثنية، بل لقد وجد الرومان ـ وهم أمة وثنية ـ أن من مصلحتهم تشويه الحقيقة ووضع بذور الفتنة، وبث مبادئ الوثنية بين الناس، وساعدهم على ذلك ما جاء على يد المسيح من المعجزات الخارقة كإحياء الموتى بل إن الطريقة التى جاء بها ابن مريم نفسه ساعدتهم على ترويج خرافة الألوهية البشرية، ثم تدرجت الخرافة عند الناس شيئًا فشيئًا حتى أصبح الظن عندهم يقينًا، وغدت الإشاعة لديهم حقيقة.

ولم يستطع الرومان بلوغ أربهم إلا بعد رفع المسيح ـ عليه السلام ـ، وحينئذ اتسع نطاق دعاياتهم، ونالوا بعض مشتهياتهم، حتى إذا ما جاء **عهد قسطنطين الإمبراطور الوثنى** تم لهم ما يبغون من نشر الوثنية، والتغلب على حقيقة الوحدانية مما سيأتى بيانه فى مبحث التثليث ودعواه الباطلة.

ولقد ألفت فى الوثنية كتب كثيرة، وأدخل التحريف على الإنجيل، وادعى بعض الناس الرسالة كذبًا على الله، وكثر مُدعوها بعد المسيح كثرة لم يسمع بمثلها فى التاريخ، ولكى يبرروا لأنفسهم النبوة الكاذبة ادعوا ألوهية المسيح، ونادوا ببنوته ـ لله تعالى ـ ولكن الحق يرد على تلك الفرية بقوله (عز من قائل):

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ (١١٦) بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾
[البقرة: ١١٦، ١١٧].

وسنقسم الكلام فى هذا الفصل إلى مبحثين: نتناول في الأول منهما أدلة المسيحيين[1] على الدعوى الباطلة بألوهية المسيح، ونبين في المبحث الثانى استحالة هذه الألوهية المزعومة، بل وسنستدل من كتبهم نفسها ومن الأقوال المنسوبة إلى السيد المسيح فيها، إلى كون ابن مريم لا يمكنه إلا أن يكون بشرًا رسولاً.

---

(١) سنستعمل لفظ (المسيحين) بدل (البولسيين) مجازًا لاشتهار الأول.

المبحث الأول: مناقشة أدلة الكنيسة على الادعاء الباطل بألوهية المسيح :

وفى هذا المبحث نذكر أدلة المسحيين على ادعائهم الباطل بتصور المسيح إلهًا، ونبين أن استنادهم عليها شيء مناقض لكتبهم نفسها. مناقض لما نسب فيها إلى المسيح ـ عليه السلام ـ، بل مناقض للعقل، ومعارض للمنطق السليم، وهذه الأدلة التى يستندون إليها تنحصر كلها فى كون المسيح وجد بغير أب، وكون إحياء الموتى كان من معجزاته، ثم بعض آيات من الأناجيل المحرفة، وهذه كلها أفصلها فيما يأتى:

أ- إن ميلاد المسيح من غير أب لا يمكن أن يتخذ ذريعة للادعاء بألوهيته:

لأن جميع المخلوقات من النباتات والطيور والحشرات بل إن جميع الجراثيم والفطريات أوجدها الله ـ تعالى ـ فى الأصل من غير أب أو أم بل الأقرب إلى ذلك أن آدم أبو البشر[1] ـ عليه السلام ـ خلق من غير أب ولا أم، ولذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

وإن حواء نفسها خلقت بعكس الطريقة التى خلق بها ابن مريم إذ أتت من طريق الذكر وحده دون الأنثى.

بل لقد ذكرت كتب المسيحية أن شخصًا يدعى ملكى صادق وجد «بلا أب ولا أم، بلا نسب، بلا بداءة أيام له ولا نهاية حياة» (عبرانيين ٧: ٣)، والمسيح وجد من أم بغير أب، وله نسب، وله بداية حياة من ولادته ونهاية حياة حين وفاته ورفعه، فيسقط الادعاء الباطل بأن عدم وجود الأب دليل على الألوهية، وقد كان يوحنا يقول للجموع: «ولا تبتدئوا تقولون فى أنفسكم لنا إبراهيم أبًا فإن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادًا لإبراهيم..» (لوقا ٣: ٨).

---

(١) يدعى النصارى بغير حق وبدون أى دليل أو سند أن المسيح أفضل من آدم، أبى البشر ـ عليه السلام ـ ويحاولون تمييز المسيح بأنه مولود لله، وآدم مخلوق لله، ضاربين صفحًا عن السيدة مريم ـ عليها السلام ـ وهى كانت من بنات آدم، ولولاها لما وجد المسيح ـ عليه السلام ـ.

وفى ذلك يرد الله ـ تعالى ـ على ادعاءاتهم الباطلة بقوله (عز من قائل):

﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [مريم: ٣٥].

ب ـ إن إحياء المسيح للموتى بإذن الله لا يمكن أن يتخذ ذريعة للادعاء بألوهيته:

تذكر الأناجيل التى يؤمن بها نصارى اليوم أن غير المسيح قد أحيا الموتى، وإذا اعتبروا إحياء الموتى دليلاً على الألوهية، لكان أولى بها كل من (حزقيال)، و(إيليا) و(اليسع) الذين تنسب إليهم أناجيلهم المحرفة إحياء الموتى فتدعى أن حزقيال قد أحيا جيشًا عظيمًا جداً جداً (حزقيال ٣٧: ١- ١٠)، كما تدعى أن إيليا قد أحيا طفلاً (ملوك أول ١٧: ١٧- ٢٤) وأن اليسع قد أحيا طفلاً كذلك (ملوك ثانى ٤: ٢٢- ٢٧)، ثم أتى بمعجزة أكبر وهى إحياء جثة ألقيت فى قبره بعد موته. (ملوك ثانى ١٣: ٢١)[1].

فأين معجزات عيسى من معجزات هؤلاء!؟ وهو الذى لم يحى غير اثنين أو ثلاثة من الأموات بإذن الله، وذلك لكون الثالثة فتاة قال عنها المسيح كما جاء فى إنجيل متى، أنها «لم تمت لكنها نائمة» (متى ٩: ٢٤).

وأين معجزات عيسى من تلك التى أجراها الله تعالى على يد موسى الذى أحيا الجماد فجعل العصا حية تسعى بإذن الله!؟ أليس تحويل الجماد إلى جسم حى ثم سلب الروح منه بعد ذلك وإعادته إلى حالة الجماد معجزة أعظم من رد روح إلى جسم كانت فيه حياة من قبل؟.

بل إن تلاميذ المسيح أنفسهم (كما تدعى الأناجيل المزورة) كان فى وسعهم إحياء الموتى وعمل معجزات تفوق معجزات المسيح نفسه كما بينا فى الفصل الأول.

---

(١) «وفيما كانوا يدفنون رجلاً فإذا بهم رأوا الغزاة فطرحوا الرجل فى قبر اليشع فلما نزل الرجل ومس عظام اليشع عاش وقام على رجليه». (ملوك ثانى: ١٣: ٢١).

وإنك لترى الأناجيل المزورة التى يؤمن بها نصارى اليوم تعترف بكون المعجزات التى صنعها السيد المسيح (عليه السلام) ليست إلا بأمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ وبإذن منه، ومن ذلك ما رواه إنجيل متى عن الناس حين رأوا معجزات المسيح مما ترجمته: «فلما رأى الجموع تعجبوا. ومجدوا الله الذى أعطى الناس سلطانًا مثل هذا) (متى ٩: ٨)، وما رواه من اعتراف المسيح نفسه بأن المعجزة من الله ـ تعالى ـ وذلك من القول المنسوب إليه والذى ترجمته: «كل شىء قد دفع إلى من أبى» (متى ١١: ٢٧).

وإنه لغريب من المسيحيين أن يعتبروا المعجزات دليلاً على الألوهية مع أن كتبهم التى يؤمنون بها تنكر كون المعجزة دليلاً على النبوة فضلاً عن الألوهية التى يدعونها كذبًا لابن مريم (عليهما السلام). فقد جاء فى إنجيل متى ما ترجمته منسوبا إلى السيد المسيح: «سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضًا» (متى: ٢٤: ٢٤) وكذلك قوله: (كثيرون سيقولون فى ذلك اليوم يا رب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة، فحينئذ أصرح لهم إنى لم أعرفكم قط اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم» (متى ٧: ٢٢، ٢٣).

فإذا كان الأثم المنافق يستطيع أن يأتى بالخوارق فعلى أى قياس يمكننا أن نميز بين الأنبياء والأشرار؟!.. وإذا كان الحال كذلك فهل نستطيع اعتبار معجزات ابن مريم دليلا على ألوهيته المزعومة؟!

وقد كان المسيح أحيانًا كثيرة لا يقوى على عمل المعجزة، ولا يستطيع أن يأتى بالخوارق، وذلك لما يدل على كونه لا يصنع بإرادته شيئًا، بل إن الله ـ تعالى ـ هو الذى يفعل ما شاء متى شاء. ولقد ذكر إنجيل مرقص أن عيسى لما جاء إلى وطنه «لم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة» (مرقص ٦: ٥).

وتروى الأناجيل المزورة التى يؤمن بها نصارى اليوم أن المسيح قال إنه لم يأت بمعجزة ما، وإنه لن تكون منه خارقة فى جيله (متى ١٢: ٣٨، ٣٩)

و(متى ١٦ : ٤) ولقد بينا ذلك بيانًا وافيًا من قبل فى الفصل الأول من هذا الكتاب مما لا ضرورة لإعادته وتكراره.

ومع تأكيد القرآن الكريم على أن الله تعالى قد أعطى المسيح ابن مريم معجزة إحياء الموتى بإذن الله، فإن (العهد الجديد) ينفى معجزة إحياء الموتى وذلك بشهادته أن المسيح هو أول من قام من الموت، ولم يحى أحد من الموت قبله، وذلك بالنص الذى ترجمته : «إن يؤلم المسيح يكن هو أول قيامة الأموات» (أعمال ٣٦: ٢٧)، أى أن المسيح صلب ـ على زعمهم ـ ومات ثم قام بعد ذلك. وهو أول من عاش بعد موته، ومعنى ذلك أنه لم تحصل معجزة الإحياء قبل قيامة المسيح على حد تعبيرهم، ولم تحصل بعدها كذلك.

جـ ـ إن لفظا «آب» و«ابن» اللذين اخترعتهما الكنيسة بعد المسيح بعدة قرون هما نتاج سوء الترجمة من الآرامية والعبرية إلى اليونانية القديمة:

إن لفظا آب وابن من الألفاظ الشائعة فى الأناجيل الأربعة التى يؤمن بها نصارى اليوم، وتسمية المسيح فى هذه الأناجيل المزورة بكنية (ابن الله)، وإطلاق لفظ (آب) على الله ـ جل وعلا ـ كان مما دعا الكنيسة فى ظل الشرك الذائع، والوثنيات اليونانية القديمة المسيطرة، والادعاءات الباطلة بتعدد الآلهة إلى اتخاذ ذلك دليلاً على البنوة الحقيقية، ودفعها ذلك إلى اعتبار المسيح ابنا لله حقاً (تعالى الله عن ذلك علواً كبيرًا، ومن ذلك قول بولس عن المسيح فى (رومية ١ : ٤): «وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات» وقوله فى (٢ كو ١ : ٣): «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح» (تعالى الله عن ذلك علواً كبيرًا).

ولكننا إذا بحثنا فى الأناجيل المحرفة والمنتحلة التى يؤمن بها نصارى اليوم وجدنا هذه التسمية عامة تطلق على غير ابن مريم كذلك، فقد روى إنجيل متى عن المسيح أنه كان يقول: «طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون» (متى ٥ : ٩)، وكذلك قوله: «لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات» (متى ٥ : ٤٥)، ومثله قوله فى (متى ٦ : ٩): «فصلوا أنتم هكذا أبانا الذى فى السموات» وكذلك قول

إنجيل يوحنا: «يأيها الأحياء نحن أولاد الله» (١ يوحنا: ٣:٢)، ويشبهه قول إنجيل لوقا: إن «آدم ابن الله» (لو ٣:٣٨) (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا).

فالأناجيل المزورة التى يؤمن بها نصارى اليوم تسمى المسيح (ابن الله) وتطلق على سواه كذلك هذا الاسم كما بينا، فبدهى أن لفظ (ابن) ليس معناه البنوة الحقيقية، سيما وأن إنجيل لوقا يذكر أن المسيح هو «ابن أتوش بن شيث بن آدم ابن الله» (لو ٣: ٣٨) ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ.

فنرى من ذلك أن لفظ (ابن) المضاف إليه لفظ الجلالة قد استعمل مجازًا وقصد به لفظ (حبيب) على سبيل الاستعارة، أو على سبيل الحقيقة ولقد قال تعالى:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

ويؤيد هذا ما روى عن المسيح من قوله لأتباعه «لكنى قد سميتكم أحباء لأنى أعلمتكم بكل ما سمعته من أبى» (يوحنا ١٥: ١٥).

ويرد الحق تبارك وتعالى على ذلك الادعاء الباطل بقوله:

﴿لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢].

وإنك لترى من المجازات فى الأناجيل استعمال لفظ (رب) بمعنى (معلم)[1] وذلك كقول إنجيل يوحنا على لسان اثنين من التلاميذ لابن مريم: «ربى الذى تفسيره يا معلم أين تمكث» (يوحنا ص١: ٣٨).

وكيف يمكن لعاقل أن يدعى بنوة المسيح لله ـ تعالى ـ والله ـ سبحانه ـ يصف ذاته العليا بأنه:

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤].

---

(١) لا يزال لقب الرابى Rabbi يستخدم كلقب لكبير حاخامات اليهود حتى يومنا هذا.

إن كتب المسيحيين التى يتداولونها بينهم اليوم ويدعون إلى الإيمان بها تقول إن أتباع المسيح جميعهم ولدوا من الله، وذلك كما جاء فى (١ يو ٥ : ١]: «كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله» ومثله ما جاء فى (١ يو: ٤ : ٧) «فكل من يحب فقد ولد من الله» فلا مشاحة هنالك فى وجوب تأويل الولادة بالعبودية كى تطابق العقل. ولقد جاء فى إنجيل يوحنا ما يفسر ذلك مما ترجمته: «لأجل هذا أظهر ابن الله لكى ينقض أعمال إبليس، كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية، لأن زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله» (١يو ٣: ٩) (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً).

ويرد القرآن الكريم عليهم بقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

وبقوله (تعالى):

﴿ **بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [الأنعام: ١٠١].

وإننا إذا تركنا التأويل عند مصادمة العقل لظاهر الكلام، لاعتبرنا إبليس أبًا للناس مع كونهم أولاد آدم عليه السلام، لما جاء فى إنجيل يوحنا من قول منسوب إلى المسيح مما ترجمته: «أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا» (يو ٨: ٤٤)، وكذلك قوله: «بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس...» (١ يو ٣: ١٠).

ويفهم من الأناجيل المحرفة التى يؤمن بها نصارى اليوم أن المسيح كان يخاف أن يأخذ الناس لفظ (ابن) على علاته، أو أن يقف ذهنهم عن التفكير فى حقيقته، أو ينقادوا إلى ظاهر معناه، فكان ينهاهم عن تسميته بهذا الاسم خوفًا من الخلط والضلال، وإنك لترى إنجيل لوقا يذكر أن المسيح كان ينهر الشياطين والمردة ويحاول منعهم من تضليل الناس بتسميته ابن الله. خوفًا من جهل العامة وعدم تميزهم وخشية اعتقادهم بظاهر الكلام الذى ينافى العقل ويخالف حقيقة الأمر.

ولبيان ذلك أذكر ما حكاه الإنجيل المنحول إلى لوقا مما ترجمته: «وكانت شياطين أيضًا تخرج من كثيرين وهى تصرخ وتقول: أنت المسيح ابن الله، فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون لأنهم عرفوه أنه المسيح» (لوقا ٤: ٤١].

وإنى أعلم أن بعض الناس قد يقول إن قول الإنجيل المنسوب إلى لوقا «لأنهم عرفوه أنه المسيح» قد يكون قيدًا للمعنى، وأن المسيح انتهرهم تواضعًا، ولكن المقام ليس ذلك مطلقًا، فمقتضى الحال يوجب التصريح بالحقيقة، ولو كان المسيح هو ابن الله بالمعنى الذى يريدونه، لما نهر الشياطين المضلة التى ليس التبليغ من شأنها، عن تكنيته بالكنية اللازمة. ولقد قال الله ـ تعالى ـ فى محكم كتابه:

﴿ **يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [الأعراف: ٢٧].

إن لفظ (آب) بمد الهمزة يخالف كل المخالفة لفظ (أب)، ويدل كذلك على معنى مغاير للفظ الثانى. ولقد ذكر أحد الآباء الدومنيكان[1] فى مقدمة الجزء الثانى من كتاب (التمرنة) المطبوع فى الموصل أن **لفظ (آب) بمد الهمزة معناه (الله)**، ويثبت ذلك قول إنجيل يوحنا على لسان المسيح «إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم» (يوحنا ٢٠: ١٧).

وإن لفظ (Father) الإنجليزى الذى ترجموا به لفظ (آب) والذى ينطق بالعربية (فاذر)، وكذلك لفظ (Vater) الألمانى و(Pater) (باتر) اللاتينى، (وبدر) الفارسى و(باتزا) اليونانى يشبه لفظ (فاطر) العربى أى الخالق المبدع على غير مثال سابق، وهو من صفات الله الخالق، الذى أبدع الخلق بعلمه وحكمته وقدرته والذى ليس له شريك فى ملكه، ولقد قال تعالى:

---

(١) الآباء الدومنيكان جماعة من الرهبان تنسب إلى St. Dominic ظهرت فى أوروبا فى أوائل القرن الثالث عشر من الميلاد وقد اعترف البابا بعهد هذه الطائفة دينيّاً، واعتمد عليها فى تنظيم محاكم التفتيش، وكانوا يسمون بالرهبان الشحاذين لتقشفهم فى أول عهد ظهورهم وعندما أغدقت عليهم الهدايا زالت عنهم الحماسة الدينية والتقشف الذى صحبها.

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤].

وهكذت ترى مما سبق أن الخلط فى ادعاء البنوة الحقيقية لله (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) أو الألوهية التى يزعمونها لنبى الله عيسى من تسميته (ابن الله) أو من تسمية الله (بالآب) ناشئ من الخلط فى الترجمة من لغة إلى أخرى، ثم ما لبثت شياطين الإنس والجن أن دخلت لحرف الدين عن أصوله وإيقاع الناس فى قضية الشرك بالله وهى من القضايا المدمرة للدين:

د ـ الأقوال التى تستند إليها الكنيسة من الأناجيل المنحولة لا يمكن أن تكون سنداً لمثل تلك الدعاوى الباطلة:

هناك بعض جمل خاصة فى الأناجيل التى يؤمن بها نصارى اليوم يريد المسيحيون أن يتخذوها سنداً فى دعواهم الباطلة بألوهية المسيح، وسوف نذكر هذه الأقوال ثم نبين استحالة إمكان أخذها بظاهرها وضرورة تأويلها، وإلا اختلط الحابل بالنابل، وصارت الناس كلها حسب الظاهر الذى يأخذون به آلهة ـ والعياذ بالله ـ مع إيماننا الكامل بأن الأناجيل التى يؤمن بها نصارى اليوم لا علاقة لها بإنجيل عيسى (عليه السلام) وأنها كتبت بعده بعدة قرون بأقلام مختلفة، فى أماكن متعددة، وأزمنة متفاوتة، وأنها ظلت يحذف منها ويضاف إليها عبر الأزمنة حتى أيامنا الراهنة وتتلخص الجمل المزورة فى الأناجيل الراهنة فيما يلى:

١ - «أنا فى الآب والآب فى»:

يروى إنجيل يوحنا عن المسيح أنه قال: «أنا والآب واحد ومن رآنى فقد رأى أبى» (يوحنا ١٠: ٣٠)، ويروى أنه قال كذلك «الذى رآنى فقد رأى الآب، فكيف تقول أنت أرنا الآب، ألست تؤمن أنى أنا فى الآب والآب فىّ، الكلام الذى أكلمكم به لست أتكلم به من نفسى، لكن الآب الحال فىّ هو يعمل الأعمال».

فلو كان قوله: أنا والآب واحد، أو إنى أنا فى الآب دليل الاتحاد والحلول لأصبح جميع الحواريين مثله سواء بسواء وذلك لقوله لهم كما هو وارد فى إنجيل

يوحنا (يوحنا ١٤ : ٢٠) «فى ذلك تعلمون أنى أنا فى أبى، وأنتم فىَّ وأنا فيكم»، ولتساوى عيسى وأهل أفسس كذلك فى الاتحاد والحلول، كما هو مذكور فى (أفسس ٤ : ٦) «إله وأب واحد للكل الذى على الكل وبالكل وفى كلكم»، ولصار أهل كورنثيوس آلهة كذلك كما جاء فى (١ كو ٦ : ١٩) «أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم الذى لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم».

فنرى هنا كيف أننا لا نستطيع الأخذ بظاهر الكلام، وإلا لأصبح عيسى والحواريون وجميع أهل أفسس وكورنثيوس آلهة كذلك، حسب ظاهر ما قيل.

وأما القول المنسوب إلى - ابن مريم عليهما السلام - والذى ترجمته: «ومن رآنى فقد رأى أبى» إذا صح فلا يمكن الأخذ بظاهره حيث تمتنع رؤية الله جل وعلا فى الدنيا.

فنرى بذلك ضعف الرأى القائل بالأخذ بظاهر ما جاء فى الأناجيل المحرفة التى يؤمن بها نصارى اليوم منسوبًا إلى المسيح، بل يجب التأويل إذا سلمنا تجاوزًا بأن تلك الجمل أو شيئًا قريبًا من دلالاتها قد صدر عن المسيح (عليه السلام) ويكون معنى قول عيسى هو: «إنى رسول الله إليكم وما أخبركم به إنما هو من الله يوحى إلى به، فمن أطاعنى فقد أطاع الله، ومن عصانى فقد عصاه».

ولا يكون المسيح على ذلك إلا نبيّاً رسولاً أرسله الله تعالى لهداية اليهود بعد أن ضلوا ضلالاً بعيدًا، ويثبت ذلك قول إنجيل بطرس مما ترجمته: «أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال: **يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب، وآيات صنعه الله بيده فى وسطكم كما أنتم أيضًا تعلمون**». (أعمال ٢ : ٢٢).

٢- «أنا من فوق. أنا لست من هذا العالم»:

يروى إنجيل يوحنا عن المسيح أنه قال: «أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق. أنتم من هذا العالم، أما أنا فلست من هذا العالم» (يوحنا ٨ : ٢٣) فلو كان قوله: أنه من فوق

وإنه ليس من هذا العالم دليلاً على الألوهية المزعومة لتساوى فى ذلك مع الحواريين لقوله لهم كما هو وارد فى نفس الإنجيل «لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته، ولكن لأنكم لستم من العالم لذلك يبغضكم العالم» (يوحنا ١٥ : ١٦).

فترى أن قوله (أنتم من أسفل.. إلخ) إذا صح فمعناه على الأرجح «أنكم تبتغون عرض الحياة الدنيا وأما أنا فأعمل للآخرة» وكذلك قوله للحواريين: «لستم من العالم» معناه: لستم من الذين عموا عن الآخرة، فالتعبير فى إنجيل يوحنا يشير إلى أن المسيح بذلك يقول للحواريين أنه وإياهم يطلبون الآخرة ويعملون عملها «لستم من العالم كما إنى أنا لست من العالم» (يوحنا ١٧ : ١٦).

٣- «عمانويل الذى تفسيره: الله معنا»:

يتمسك المسيحيون بقول إنجيل متى (متى١ : ٢٣) «العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانويل الذى تفسيره الله معنا» ويزعمون أن ذلك دليل على ألوهية المسيح[١]، ولكن ما هى الصلة بين الجملة (الله معنا) وبين المسيح، إن جملة (الله معنا) هى جملة إسمية مفيدة معناها (الله موجود معنا) وموجود فى كل مكان. فهل يسمى المسيح (الله موجود معنا) وهو المعروف باسم المسيح عيسى ابن مريم..؟!

وإننا إذا فرضنا جدلاً أن (عمانويل) معناه (الله معنا) فقط وليس (الله موجود معنا) فلا يمكن أن نتخذ من هذه الجملة الإسمية دليلاً على كونه هو الله ـ جل شأنه ـ، فإن كتبهم المزورة والتى يؤمنون بها تطلق اسم الله على الملائكة وليسوا بآلهة، **وتطلق اسم الله كذلك على الأنبياء وليسوا بآلهة كذلك. بل إن كتبهم تطلق اسم الله على جميع البشر بل تطلق اسم الله على إبليس نفسه. (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) وليس إبليس هو الله بداهة..**

---

(١) نجد بالقرآن الكريم قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠] ولا يفهم من قوله تعالى إن الله معنا ألوهية أى بشر ممن خلق الله سبحانه وتعالى.

فأما إطلاق اسم (الله) تجاوزًا على الملائكة فيظهر جلياً عند مراجعة سفر القضاة، فمنه ما ترجمته «ولم يعد ملاك الرب يتراءى لمنوح وامرأته حينئذ عرف منوح أنه ملاك الرب فقال منوح لامرأته: نموت موتًا لأننا قد رأينا الله» (قضاة ١٣ : ٢١)، فسمى منوح المَلَكَ تجاوزًا «الله» (تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرًا).

وكذلك سُمِّي المَلَكَ أو الرَّجُلُ الذى صارعه يعقوب إلى الفجر «الله» وسمى الأخير نفسه كذلك باسم الله، حين سأل يعقوب «فقال له: ما اسمك فقال: يعقوب. فقال له : لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت» إلى قوله «فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلاً لأنى نظرت الله وجهًا لوجه ونجيت نفسى» (تك ٣٢: ٢٣ - ٣٠).

ولا نستطيع طبعًا اعتبار الذى غلبه يعقوب فى المصارعة حتى الفجر هو «الله» ولا كان الله من الضعف بحيث يغلبه أحد من البشر (تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيرًا).

وأما إطلاق اسم «الله» تجاوزًا على الأنبياء وعدوانًا وإجرامًا فيبينه ما جاء فى سفر «الخروج» من أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام «أنا جعلتك إلها لفرعون وهرون أخوك يكون نبيّاً» (خر ٧:١).

وأما إطلاق اسم الله على الناس خاصتهم وعامتهم فيبينه ما جاء فى (المزمور٨٢:٦) «أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلى كلكم»..

وأما إطلاق اسم الله على إبليس (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا)، فقد جاء فى (٢ كو٤ :٣) «ولكن إذا كان إنجيلنا مكتوبًا فإنما هو مكتوب فى الهالكين الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين.. إلخ».

فبما أن هؤلاء جميعًا يطلق عليهم اسم «الله» كابن مريم نفسه، فإما يعتبرون جميعا آلهة حسب المعنى الظاهر وهو محال عقلا أو يؤول الظاهر ويكون لفظ (الله) عندهم بمعنى سيد أو يكون هذا الخلط فى الأناجيل المنحولة من هيمنة الأفكار الوثنية، وشطط الترجمات من الآرامية والعبرية إلى اليونانية القديمة وغيرها من اللغات الأوروبية، ومن الانحرافات البشرية العديدة التى يصفها الحق تبارك وتعالى بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١].

٤- الادعاء بتعبير «وكانت الكلمة الله»:

مما تستند الكنيسة عليه فى دعواها الباطلة بألوهية المسيح ما ورد فى إنجيل يوحنا (يوحنا ١ : ١) مما ترجمته: «فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكانت الكلمة الله»[١].

أما قولهم (وكانت الكلمة الله) إذا صح فإن فيه حتما تحريف بالنقصان، وتكون بذلك الجملة (وكانت الكلمة أمر الله) أى بأمره، ويثبت ذلك من القول المنسوب إلى السيد المسيح فى إنجيل يوحنا (يوحنا٨: ٤٠) مما ترجمته «ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله»، ومثله ما جاء فى (تيموثاوس ٢ : ٥) مما ترجمته «لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس: الإنسان يسوع المسيح».

وبما أن قولهم (فى البدء كان الكلمة.. إلخ) يتعارض مع الجملتين التاليتين له وجب تأويل الأول لمنافاته للعقل، ومعارضته للحقيقة، ويكون معنى كلام إنجيل يوحنا ـ إذا كان صحيحا ـ هو «فى البدء كان عيسى كلمة عند الله وكانت الكلمة عيسى أمر الله أى بأمره وقدرته وكلمته التى هى كن» وفى ذلك يقول الحق تبارك:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الأنعام: ٢١].

المبحث الثانى: من الأدلة القاطعة على نفى الادعاء الباطل بألوهية المسيح:

(أ)- تفرق المسيحيين فى وصف طبيعة المسيح:

قبل أن نتكلم فى هذا الموضوع، وقبل أن نذكر الأدلة الصارخة التى تنطق بعدم إمكان الألوهية لبشر، ونأتى بالبراهين القاطعة التى تنزه الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن كل وصف من أوصاف خلقه، نذكر شيئًا من اعتقاد المسيحيين فى ماهية ابن مريم، وتباين تلك الاعتقادات عند أكبر الفرق المسيحية فيما يتعلق

(١) من الثابت أن يوحنا فى مقولته هذه قد تأثر بأفكار فيلون السكندرى. PHILON (٢٠ ق.م- ٤٠م)، وهو يهودى عاش بالأسكندرية فى العصر اليونانى، وحاول التوفيق بين الدين اليهودى والفلسفة باعتبار أن الخالق هو عقل يفيض عنه العالم، وسمى ذلك العقل اللوغوس. وكان يشير إليه على اعتبار أنه «الكلمة».

بعيسى ـ عليه السلام ـ وفهم طبيعته. ونجد أن هذا التباين فى حد ذاته من أكبر الأدلة على نفى صفة الألوهية عن ابن مريم (عليهما السلام) وتتباين أكبر الفرق المسيحية فى ذلك على النحو التالى:

(١)ـ الفرقة الملكانية [(MALAKANISM (ROYALISM = CATHOLICISM)]:

وهى تزعم أن المسيح إله تام كله وإنسان تام كله، ليس أحدهما غير الآخر، وأن الإنسان منه هو الذى صلب وقتل، وأن الإله منه لم ينله شىء من ذلك، وأن مريم ولدت الإله[١] والإنسان وأنهما معًا شىء واحد[٢] (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا).

(٢)ـ الفرقة النسطورية [NASTURIANS AND NASTURISM]:

وهذه الفرقة تنسب إلى (نسطور) بطريرك القسطنطينية، الذى ظهر أيام المأمون فى القرن التاسع الميلادى، وتصرف فى الأناجيل العديدة التى كانت متوفرة فى زمانه برأيه منفردا وهذه الفرقة تزعم كسابقتها **أن المسيح له طبيعتان، ولكنها تقول إن مريم ولدت الإنسان ولم تلد الإله، وإن الله تعالى لم يلد الإنسان وولد الإله.** (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا) ويرد عليهم القرآن الكريم مكذبا إياهم فى ذلك المنكر الذى يدعون فيقول الحق (تبارك وتعالى):

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٦٨) قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ ﴾ [يونس: ٦٨، ٦٩].

(٣)ـ الفرقة اليعقوبية: [JACOBITES AND JACOBISM = ORTHODOXISM]

وهى تنسب إلى يعقوب البرادعى الذى كان راهبًا فى كنيسة القسطنطينية، وعاش فى القرن السادس الميلادى، وتزعم هذه الفرقة أن المسيح بجملته المركبة هو الله، ويرد عليهم القرآن الكريم نافيا هذا المنكر من القول وذلك بقول ربنا ـتبارك وتعالىـ: **﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ**

(١) قرر المسيحيون أن مريم ولدت الإله وذلك فى مجمع (أفيسوس) سنة ٤٣١ بعد المسيح.

(٢) سيبين أصل هذه الفكرة ومنبعها منشأها فى (مبحث دعوى التثليث).

أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧].

(٤)_ الفرقة الموحدة: [THE UNITARIANS AND UNITARIANISM]:

وهذه الفرقة تقول بوحدانية الله _ تعالى _ وبأن المسيح هو رسوله ولا يمكن أن يكون غير ذلك. مع كثير من الخلط فى المفاهيم نظرا لتكدس الخرافات وتعدد المداخلات البشرية والأساطير وهذه الفرقة تضم عددا من عقلاء المسيحيين وفلاسفتهم. منهم الفليسوف (تولستوى) الذى يعتبره أكبر فيلسوف أنجبه القرن العشرين، ولتولستوى هذا إنجيل خاص به، مترجم إلى أكثر اللغات. ومنها العربية. وقد اجتهد هذا الرجل أن يجمع فى هذا الإنجيل كل ما يعتقده صحيحًا، وقد حذف ما أداه بحثه إلى كونه دخيلاً محرفًا، ولم يعترف بما يسمى باسم «رسائل الرسل»، ولام الرؤساء الدينيين للكنائس المسيحية لتشويههم حقيقة المسيحية، واختيارهم كتبًا تعارض الدين الصحيح، فتراه يقول فى مقدمته: «لا ندرى السر فى اختيار الكنيسة هذا العدد من الكتب وتفضيلها إياها على غيرها واعتبارها مقدسة، منزلة دون سواها» وأضاف: «ويااليت الكنيسة عند اختيارها لتلك الكتب أوضحت للناس هذا التفضيل فبينت إذ ذاك ما وجدته من الخطأ فى الكتب التى لم تعتبرها موحى بها» إلى أن قال: «إن الكنيسة أخطأت خطأ لا يغتفر فى اختيارها بعض الكتب ورفضها الأخرى واجتهادها بعد ذلك التقسيم أن تؤيد ما اختارته منها وتقول إنه هو الصحيح المنزل الموحى به من الروح القدس، معتبرة كل حكمة واردة فيها من السماء لا تحول ولا تزول، ولو تبصرت قليلاً لأدركت بداهة بأن ما عملته أفسد وأضر ما اختارته منها بإضافتها إليها التقاليد المتباينة المعنى، المتضاربة المغزى بين بيضاء وصفراء وزرقاء أعنى أن بعض تلك التقاليد فى اعتقادها مفيد والبعض الآخر ذو تعليم سام وقد وضعت عليها كلها ختم العصمة من الخطأ، وبذلك حرمت على نفسها الحق فى إيضاح غامضها، وحذف مالا يوافق منها، ولكنها لم تفعل ولن تفعل شيئًا من ذلك ما دامت هذه حالها، إن كل شىء فى نظرها مقدس سماوى كالعجائب وأعمال الرسل وآراء بولس الرسول فى شأن الخطيئة والعذاب

والثواب، وهذيان الرسل فى رسالاتهم، وخـرافات يوحنا اللاهوتى فى رؤياه» إلى أن قال: «كان على الكنيسة قبل اختيارها هذه الكتب أن تدرسها درسًا وافيًا وتحذف منهـا ما يدعـو إلى الانتقـاد والشك ولكنهـا لجأت إلى الكلام حـتى اضطرت أن ترفض كثيرا من الأسفار وبعض فصول من أعمال الرسل ورسائلهم التى لو طالعها المرء بإمعان لوجدها أقرب إلى الغش والخيانة منها إلى التعليم».

(٥)ـ باقى الفرق المسيحية:

وأما باقى الفرق المسيحية التى يزيد عددها على ٧٢ فرقة يتشعب كل منها إلى مذاهب لا حصر لها[١]، كلها مشركة ويرد عليها القرآن الكريم بقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧].

ولسهولة بسط هذه الآراء وبحثـها، نقسم الكلام فيها إلى شعبـتين: فى الشعبة الأولى نأتى بالدليل العقلى على عدم إمكان ألوهية المسيح، وأمـا فى الشعبة الثانية فنستشهـد بالأقوال المنسوبة إلى عيسى فى الأناجـيل المزورة التى يؤمن بها نصارى

---

(١) من هذه الفرق ما يلى:

(1) THE ADVENTISITISM
(2)THE ARIANISM
(3) The ARIUSISM
(4)THE BIBLICISM
(5) THE CONGRUISM
(6) THE CHRISTADELPHIANISM.
(7) THE DIDASCALIANISM.
(8) THE EVANGILISM.
(9) THE GONOSTICISM.
(10) THE JONNESISM.
(11) THE MACEDONISM.
(12) THE MARONISM
(13) THE MENNONISM.
(14)THE MOLONISM
(15) THE MORMONISM
(16) THE RELAGIANISM.
(17) THE PRESBYTARIANISM
(18) THE PROTESTANTISM
(19) THE QUIETISM (20) THE SABELLIANISM. (21) THE SOPHRONIUSISM.

اليوم، والتى ينفى بها هذه الدعوى، ويبرئ نفسه مما ألصقه به بولس وأتباعه بدون دليل أو سند منطقى واحد.

(ب)- الدليل العقلى ينفى الادعاء الباطل بألوهية المسيح:

إذا نظرنا إلى وصف المسيح فى الأناجيل المحرفة التى يؤمن بها نصارى اليوم ما وجدناه إلا بشراً حقيقياً لبث فى بطن أمه تسعة أشهر كسائر الناس ثم ولد فشب وترعرع، **حتى إذا ما بلغ الثلاثين عاما مارس النبوة والدعوة سنة كاملة طلبته اليهود فى آخرها، وقد كان يأكل ويشرب** (متى١١:١٩) وكان كأى إنسان حى يأكل ويشرب، يتبرز ويتبول، وينام ويصحو، ويضحك ويبكى، وكان يتعب، ويسأم، ويشتم، ويصخب، ويلعن، ويسب، ويتألم، ويتوجع، ويخاف، ويصرخ، كما كان ينفرد بنفسه فيتعبد ويصلى، ويدعو الله ألاَّ يُمكِّنَ منه اليهود إلى غير ذلك من الصفات البشرية، والانفعالات النفسية، والإحساسات المختلفة التى يشعر بها الإنسان، مما ظهر فى سياق الفصل الأول.

ولو اعترض نصرانى على ذلك وقال إنما كان ذلك من وجهة ناسوته. قلنا إن الإحساسات المتباينة، والانفعالات النفسية المختلفة لا يشعر بها الجسم المجرد من الروح، بل إن الشعور تحس به الروح أكثر مما يشعر به الجسد، وما شعور المادة إلا تحديد للانعكاسات التى تتلقاها الأعصاب المتعلقة بالحياة.

إن البشرية التى كان يضمها جسد المسيح، هى التى كانت تشعر بالرغبة فى الطعام والشراب، وتحس بالحاجة إلى التبرز والتبول، وفى أدب جم، وعفة بالغة يذكر القرآن الكريم ذلك فى وصف ابن مريم وأمه فيقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة: ٧٥].

وإننا لا نستطيع مطلقًا أن نقول إن المسيح كان يضم جسده الآدمى كلا من الروح البشرية والذات الإلهية (تعالى الله عن ذلك علوا كبير)، فذلك مما لا يقبله العقل الذى عرفنا به الله، واهتدينا به إلى إثبات وجوده منزهًا عن جميع صفات

خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله، وإذا فرضنا جدلا ـ كما يدعون ـ أن الاتصال بين اللاهوت والناسوت كان لوصول البشرية إلى مقام العزة الإلهية ـ وهذا الفرض غير جائز عقلا ولا نقلا ـ فلا نستطيع أن نقول إن الاتصال المذكور كان لنزول العزة الإلهية إلى مستوى البشرية الحقيرة، فيتصف الله جلا وعلا بصفاتها، وتلم به أعراض الحزن والألم، والسرور والفرح، بل ويذوق عذاب الأسر، ويتجرع أوصاب الموت والصلب ـكما يدعونـ، ويزلزله الألم، ويدعوه العذاب إلى البكاء والصراخ والعويل كما تصف الأناجيل المزورة التى يؤمن بها نصارى اليوم حال السيد المسيح (عليه السلام).

وما داموا يقولون بموت المسيح المتعلقة به الروح، فمعنى ذلك أن الروح كفت عن العمل، وليس هناك معنى مطلقًا بأن الجسد هو الذى مات وحده، إذ أن الجسد ليس إلا وعاء للروح المجردة عن المادة ذاتا لا فعلاً ـ كما أثبت ذلك الفلاسفة ـ أى أنها مجردة فى ذاتها ولا يظهر لها أثر ملموس فى حياتنا بغير مادة.

كل ذلك يثبت أن الروح التى كانت متعلقة بالمسيح ما كانت إلا الروح البشرية المحضة التى لا مجال لسواها، وإذا كانوا لا يقبلون ما تدل عليه بداهة العقل، وجب عليهم إقامة الدليل للأخذ بسواه. وبما أن أدلتهم التى تتركز فى ادعائهم بألوهية المسيح واهية، وقد أثبتنا عدم صلاحيتها، وأظهرنا استحالة وقفها كدليل مما سبق شرحه فى المبحث الأول من هذا الفصل، فيكون بذلك المسيح محض بشر لا علاقة له بالله إلا علاقة المخلوق بالخالق، وتكون الادعاءات الباطلة بألوهيته من أوهام المشركين الذين حرفوا رسالة المسيح كما سبق وأن حرف أجدادهم اليهود رسالة موسى من قبل.

وصدق الله العظيم إذ يقول فى محكم كتابه:

﴿أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَـوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ [يونس: ٦٦].

وإذا فرضنا جدلا أن التصور الخيالى لإمكانية الاتحاد بين الجوهرين الناسوتى واللاهوتى يمكن أن يتحقق ـ كما يزعمون ـ ولو من قبيل الجدل، لأصبح

أقنوم الابن[1] محدودًا، وكل محدود قابل للزيادة والنقصان، ووجوده فى حدوده يحتاج لموجد، فيكون أقنوم الابن محدثا، وإذا تجاوز نصارى اليوم كل حدود العقل باعتبار ذلك الابن إلها، فإن ذلك يقتضى حدوث الله وهو محال. لأن الله تعالى هو خالق الزمان، فكيف للزمان أن يحد خالقه. .؟!

ونستطيع أن نقول كذلك: إما أن يكون شخص المسيح هو الإله كقول اليعقوبية ـ أو يكون الإله بكليته قد حل فى المسيح ـ كزعم فرقتى الملكانية والنسطورية - أو حل بعضه فيه، كدعاوى بعض الفرق الأخرى، فأما **الأول** فمحال لأنه بإعدام المسيح ينعدم الله (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا)، **والثانى** محال أيضا لأن الله ليس جسما ولا عرضا ولو كان جسما لوجب اختلاط أجزائه بأجزاء جسم المسيح فتتفرق الأجزاء حسب ذلك وهو باطل، ولو كان عرضا لاحتاج إلى محل والواجب وجوده لذاته لا يحتاج إلى غيره وإلا صار ممكنا. والفرض **الثالث** محال هو الآخر لأنه إذا انفصل الجزء عن الكل صار كلاهما ناقصا، والمتركب من ناقصين ناقص ولا يجوز مثله على الواجب، **فيثبت أن ابن مريم ليس بإله**. وإنما بشر ممن خلق الله، واصطفاه لتبليغ رسالته إلى الذين انحرفوا من بنى إسرائيل عن تعاليم موسى (عليه السلام).

وإنك لترى أيها القارئ الكريم كذلك أنه لا معنى هنالك مطلقا للقول بأن المسيح إله تام كله وإنسان تام كله ليس أحدهما غير الآخر، وإذا كان الأمر كذلك لكان الله ـ تعالى ـ إنسانا ولأصبح كل فرد منا إلها كذلك وهو محال.

وكلنا يعلم أن الله تعالى واجب الوجود، أى أن وجوده لذاته من حيث هو الله، أى أنه قديم باق غير مركب، ولكننا إذا نظرنا إلى المسيح وجدناه محض إنسان تذكر عنه الأناجيل التى يؤمن بها نصارى اليوم أنه ولد فى بيت لحم من مريم (عليهما السلام)، أى أنه أوجد كسائر البشر من عدم بقدرة الله ـ تعالى ـ

---

(١) لفظ أقنوم يطلق على كل كائن حى عاقل قائم بنفسه. والمسيحيون يطلقون على المسيح اسم (أقنوم الابن) ويقولون إنه يحتوى على ثلاثة أقانيم وهى أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وسيأتى الكلام على هذا فى مبحث دعوى التثليث الباطلة.

الذى لا يحتاج وجوده لموجد غيره [1] ثم يقول المسيحيون إنه أعدم بعد ذلك صلبا. والله لا يطرأ عليه عدم، وهو تعالى يصف ذاته العليا بقوله (عز من قائل):

﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣].

وقوله (سبحانه):

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الروم: ٢٧].

ويعترف المسيحيون أن المسيح إنسان كامل، أى أنه مركب من أعضاء وأنسجة وخلايا بشرية، والمركب يحتاج إلى تقديم وجود كل جزء من أجزائه على وجود جملته، وبما أن كل جزء من أجزائه غير ذاته، فيكون وجود جملته محتاجة إلى وجود غيره. والواجب الوجود كما قلنا لا يحتاج إلى وجود غيره بل هو واجب لذاته من حيث هى، أى ليس وجوده موقوفًا على الحكم بوجود كل جزء من أجزائه كالمسيح[2] وصدق الله العظيم إذ يقول (موجها الحديث إلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين انحرفوا عن تعاليم ربهم):

---

(١) اللاهوتيون أنفسهم يقولون إن الأقنوم الثالث حل فى أحشاء مريم العذراء وصاغ من دمها إنسانًا حيًا كاملاً ثم جاء الأقنوم من الثالوث واتحد بهذا الإنسان اتحادًا أقنوميًا، أى أن المسيح لم يوجد إلا فى زمن خاص وأنه كان مسبوقًا بعدم مما يقتضى وجود علة تعطيه الوجود.

(٢) يقول الإمام الشيخ محمد عبده إن نفى التركيب فى الواجب شامل لما يسمونه حقيقة عقلية أو خارجية فلا يمكن للعقل أن يحاكى ذات الواجب بمركب فإن الأجزاء العقلية لابد لها من منشأ انتزاع فى الخارج فلو تركبت الحقيقة العقلية لكانت الحقيقة مركبة فى الخارج وإلا كانت ما فرض حقيقة عقلية اعتباراً كاذب الصدق لا حقيقة. وكما لا يكون الواجب مركبا لا يكون قابلا للقسمة فى أحد الامتدادات الثلاثة أى لا يكون له امتداد لأنه لو قبل القسمة لعاد بها إلى غير وجوده الأول وصار إلى وجودات متعددة وهى وجودات الأجزاء الحاصلة من القسمة فيكون ذلك قبولا للعدم أو تركيبا، وكلاهما محال وقد يحتج المسيحيون بتسمية القرآن إياهم أهل كتاب ويستدلون بذلك على صحة معتقداتهم، ولكننى أعلن هنا وأصرح أن القرآن الكريم يسميهم كذلك باعتبار ما كان كتسميتنا يهود اليوم، وكتسميتنا البولسيين بالنصارى باعتبار ما كان كذلك، ويقصد المؤلف أن كلمة اليهود تعنى ضمن معانيها الذين هادوا أو الذين اهتدوا وآمنوا برسالة موسى عليه السلام. ولقد أفسد اليهود بعد ذلك ما أفسدوه وإن ظلت تسميتهم باليهود ملازمة لهم. وكذلك هدم بولس تعاليم المسيح رغم الاعتقاد بأنه المؤسس الحقيقى للمسيحية الحالية.

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٧٧].

(جـ)ـ الدليل النقلى ينفى الادعاء الباطل بألوهية المسيح:

نذكر هنا الأدلة الناطقة من الأناجيل المحرفة التى يؤمن بها نصارى اليوم والتى يسجل كاتبوها فيها شهادة المسيح على نفسه بكونه محض إنسان، وشهادته بواحدنية الله تعالى، ونفيه عن نفسه الصفات التى لا يتصف بها إلا واجب الوجود، الله ربى ورب كل موجود، الذى وصف ذاته بقوله (عز من قائل):

﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴾ [الصافات: ٥].

(١)ـ الأناجيل الحالية تثبت فيما تسرد أن المسيح سلبت منه الحياه والله حى لا يموت:

تروى الأناجيل أن المسيح سلبت منه الحياة فيذكر إنجيل متى (متى ٢٧: ٥)، أن المسيح حين صلب[١] صرخ بصوت عظيم (وأسلم الروح)، وسجل إنجيل مرقص (مرقص ١٥: ٣٧) ما ترجمته: «فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح»[٢]. ودون كاتبو إنجيل لوقا (لوقا ٢٣: ٤٦) ما ترجمته: «ونادى يسوع بصوت عظيم وقال يا أبتاه فى يدك أستودع روحى، ولما قال هذا أسلم الروح» وسجل كاتبو إنجيل يوحنا ما ترجمته: «فلما أخذ يسوع الخل قال قد أكمل ونكس رأسه وأسلم الروح» (يوحنا ١٩: ٢٠)[٣].

فترى من ذلك كيف سلبت من المسيح الحياة، والله حى لا يموت يصف ذاته العلية بقوله: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقر: ٢٥٥].

وقوله: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٥].

(١، ٢) نستخدم كلام النصارى هنا لبيان استحالة صحته، حيث إنه من المعروف أن المسيح لم يمت على الصليب كما يزعم النصارى.

(٣) يقول مرقص بعد هذا (ولما رأى قائد المائة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح قال حقا كان هذا الإنسان ابن الله) فأى منطق يجعل صراخ المصلوب ومفارقته الحياة دليل النبوة أو الألوهية!!!

(٢)- تذكر الأناجيل الأربعة التى يؤمن بها نصارى اليوم اعتراف المسيح بأن العلم بالآخرة والساعة لله وحده:

وفى ذلك يذكر إنجيل مرقص قولا منسوبا إلى المسيح يقول فيه: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الآب» (مر ١٢ : ٣٢)، فالمسيح يشهد بجهله ذلك اليوم وتلك الساعة[١]، أى أنه لا يعلم عن الساعة أو يوم الحساب شيئا[٢]، والقرآن الكريم يؤكد على تفرد الله - تعالى - بهذا العلم إذ يقول: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [لقمان: ٣٤].

ويذكر: ﴿**وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [الزخرف: ٨٥].

(٣) - هذه الأناجيل تنسب إلى المسيح أنه ينفى عن نفسه الإرادة والاختيار:

فإنجيل متى إذ يقرر أن لله الإرادة والاختيار يروى أن المسيح يخاطب ربه بقوله:

---

(١) طبيعى وبديهى أن العلم من أعمال الروح لا من أعمال الجسد فإذا كان الله تعالى حالا فى جسد المسيح فكيف يتصف الله بالجهل (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا)؟!.. لا شك فى كون جهل المسيح بما يقتصر علمه على الله إثبات لبشرية المسيح.

(٢) ليس للرسول أن يعلم متى تأتى الساعة إنما عليه أن يحذر منها وقال تعالى لرسوله محمد (ﷺ) ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا**﴾ [النازعات: ٤٢- ٤٥].

ومن طالع فى الإنجيل حكاية التينة وهى قول مرقص أن المسيح لما جاء هو وتلاميذه الاثنا عشر (نظر شجرة تين من بعيد عليها ورق التين فأجاب يسوع وقال لها لا يأكل أحد منك ثمر بعد إلى الأبد) وفى الصباح إذ كانوا مجتازين رأوا التينة قد يبست من الأصول) (مر ١١ :١٢و ١٤، ٢٠) فالمسيح جهل أن الشجرة ليس بها تين وجهل كذلك أن الوقت ليس بوقت ظهور التين.

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أنه كان الأولى بالمسيح أن يدعو لها فتثمر ويأكل هو وأصحابه منها، إذ ما ذنب التينة وما ذنب الناس يحرمون من ثمرها لأنها لم تثمر فى غير ميعادها، وما ذنب صاحب التينة فيفقدها إلى الأبد. يضاف إلى ذلك استحالة أن يتصور أحد أن المسيح عليه السلام كان يجهل موعد جنى ثمار التين ويزعم نصارى اليوم أنه كان يعرف الغيب كله.

«ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت» (متى ٢٦: ٣٩) والله ـ تعالى ـ يصف ذاته العلية بقوله فى محكم كتابه: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [الحديد: ٥].

(٤)ـ هذه الأناجيل تشهد بأن المسيح عاجز، والله قادر على كل شىء:

فإنجيل يوحنا يذكر على لسان المسيح قوله: «أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئًا» (يوحنا ٥: ٣٠) وإنجيل متى يذكر قوله: «وأما الجلوس عن يمينى وعن شمالى فليس لى أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبى» (متى ٢٠: ٢٣).

ويرد عليهم الحق (تبارك وتعالى)بقوله العزيز:

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٩].

(٥) ـ هذه الأناجيل تعترف بأن المسيح متواضع وأن لله الكبرياء:

فإنجيل متى يذكر أن أحد التلاميذ سأل المسيح قائلا: «أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لكى تكون لى الحياة الأبدية فقال له: لماذا تدعونى صالحًا ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله» (متى ١٩: ١٦).

ولو أخذنا هذا الكلام بظاهره لثبت نفى الصلاح عن المسيح وهو ما لا نقول به لأنه عندنا من أولى العزم من الرسل. فلا شك أن هذا القول تواضع من المسيح، والتواضع من صفات الصالحين ولا يكون الله متواضعا وهو سبحانه يصف ذاته العليا بقوله فى محكم كتابه:

﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجاثية: ٣٧].

(٦)ـ هذه الأناجيل تسجل أن المسيح ينسب العظمة لله وحده:

فينسب إنجيل يوحنا إلى السيد المسيح قوله: «إن أبى أعظم منى» (يو ١٤: ٢٨)، ويقول: «الحق الحق أقول لكم أنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسلة[1]» (يو ١٣: ١٦).

---

(١) هذا اعتراف كامل شامل صريح من المسيح (عليه السلام) بأنه كان رسولا من رسل الله، وعليه فلا يمكن أن يكون إلاها ولا شبه إله ولا مساويا لله ـ تعالى ـ فى أى وصف من صفاته العلية.

(٧)- هذه الأناجيل تصف المسيح بالخوف والعجز والجزع وهى صفات لا يمكن أن تكون لله (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا):

يذكر إنجيل متى (متى ٢٧ : ٤٦) ما ترجمته: «ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: «إيلى إيلى لما شبقتنى» أى: «إلهى إلهى لماذا تركتنى».

ومعنى ذلك أن المسيح يعترف لخالقه بالألوهية، وينفيها عن نفسه، وأنه كان خائفًا من الموت، عاجزا عن تخليص نفسه منه، والغريب أنه على الرغم من ذلك فإن نصارى اليوم يزعمون أن المسيح إله، فما معنى خوفه من قضاء حتمه على نفسه إذا كان حقا إله؟ وما معنى عجزه عن التخلص من البشر الذين أهانوه وشتموه، وبصقوا على وجهه؟ بل ما معنى مناداة نفسه والتوسل إلى ذاته وهو يستنجد بالله؟ الغريب أن يصرخ المسيح الذين يزعمون ألوهيته خوفًا من الموت المحتوم، ونرى كثيراً من المجرمين والقتلة يتقدمون نحو الموت بقدم ثابتة وجأش رابط.

(٨)ـ هذه الأناجيل تذكر أن المسيح كان يعبد الله:

فقد ثبت أن عيسى ـ عليه السلام ـ كان يعبد الله ـ تعالى ـ، ويتوسل إليه شأن المخلوق العابد مع الإله الخالق الذى يصف ذاته العلية بقوله: ﴿**هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [الحشر: ٢٤].

ويروى إنجيل مرقص (مرقص ١ : ٣٥)، عن المسيح ما ترجمته: أنه «فى الصبح باكرا جداً قام وخرج ومضى إلى موضع خلاء وكان يصلى هناك» كما يذكر إنجيل لوقا عن المسيح ما ترجمته: «وأما هو فكان يعتزل فى البرارى ويصلى» (لوقا ٥ : ١٦).

وفى ذلك اعتراف كامل، شامل، صريح، من السيد المسيح (عليه السلام) أنه عبد لله، خاضع له بالعبادة والطاعة، كما يخضع له كل الكون بالطاعة والعبادة انصياعا للقرار الإلهى.

﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ**﴾ [الرعد: ١٥].

(٩)ـ الأناجيل التى يؤمن بها نصارى اليوم تعترف بأن المسيح رسول الله:

فيـذكر إنجيل يوحنا على لسان المسـيح قوله: «الكلام الذى تسمـعه ليس لى بل للآب الذى أرسلنى» (يو ١٤: ٢٤). وقـوله: «أنا إنسـان قـد كلمكم بالحق الذى سمـعه من الله» (يو ٨: ٤٠)، وقوله: «لأنى لا أطلب مـشيئـتى بل مشيـئة الآب الذى أرسلنى» (يو ٥: ٣٠) أى أن الكلام الذى يتكلم به موحى به إليه من عند الله ـتعالىـ الذى أرسله، وهذا يتنافى مع الادعاءات الباطلة بكونه إلاها أو شبه إله.

(١٠)ـ تذكر الأناجيل الأربعة التى يؤمن بهـا نصارى اليوم أن المسيح طلب من يوحنا أن يعمده وذلك ينفى عنه صفة الألوهية التى ألصقت به كذبًا بعد رفعه:

يحكى إنجيل مـتى قائلا: «حـينئذ جاء يسـوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا المعمدان ليعتمد منه ولكن يوحنا منعـه قائلا: أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى إلىّ: فأجاب يسوع وقال له: أسمع الآن لأن هكذا يليق بنا أن يكمل كل بر حينئذ سمع له» (متى ٣: ١٣-١٥).

فترى كيف يعترف الإنجيل المنحول إلى متى بتلك الواقعة التى سعى المسيح فيها أن يكمل نفسـه بالتعمد من يحـيى الذى صار بذلك أعلا منه مرتبـة، خاصة وأن الأناجيل المحرفة الموجـودة بين أيدى نصارى اليوم تذكر أن المسيح شـهد بنفسه أن يحيى (لم تلد النساء مثله)، فهل يمكن لبشر أن يعلو على خالقه؟!

وألا ترى معى أيها القارئ الكريم أنه من المخجل مجرد محاولة أن نساوى الله بالبشـر، ونزعم أن النبى الذى يعتمـد من يحيى هو «الله». إن يحـيى نبى كريم فهل يجهل يحيى ربه؟ إن المسيح لو كان هو الله لسجد له يحيى حالا (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا)، وهل يقف الله أمام عبـده وجها لوجه يحادثه؟ وهل يأخذ الله عن عبده الشريعة ويكمل نفسه بالتكاليف والعبادة بالتعمد منه؟! إننا نجل الله ـ تعالى ـ عن هذا الشرك، وننزهه تعالى عن هذا الخلط.

(١١) ـ الأناجيل الأربعة التى يؤمن بها نصارى اليوم تذكر أن المسيح جربه إبليس:

يقول (متى ١: ١- ١٥) «ثم أصْعِـد يسوع إلى البـرية من الروح ليُـجَرَّب من إبليس فبعدما صام أربعين نهارًا وأربعـين ليلة رجع أخيرًا فتقدم إليه المجروب وقال

له: إن كنت ابن الله فقل: أن تصير هذه الحجارة خبزًا فأجاب وقال: مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله، ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل وقال له: إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل، لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك فعلى أيديهم يحملونك لكى لا تصدم بحجر رجلك، قال له يسوع: مكتوب أيضا لا يجرب الرب إلهك، ثم أخذه أيضًا إبليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له: أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى، حينئذ قال له يسوع: اذهب عنى يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد».

نستخلص من هذا الحديث إن كان صحيحا الأمور الآتية:

- أن إبليس كان يقود المسيح إلى حيث شاء فينقاد له. فتارة يقوده إلى المدينة المقدسة ويوقفه على جناح الهيكل، وتارة يأخذه إلى جبل عال جدا، ويصعده عليه بدون أن يبدى المسيح اعتراضا وكأنه استسلم لإبليس استسلاما تاما غير خليق بنبى فضلا عن الإله.

- لا أعتقد أن إبليس من الجهل بحيث يعرض على ربه وإلهه ملك الأرض ومجدها ويطمع فى أن يسجد له خالقه.

- ربما قال قائل إنه كان يخاطب ناسوت المسيح، ولكن هذا الزعم باطل فإنهم يقولون إن اللاهوت متعلق ومندمج فى الناسوت وهما غير مفصولين، فيكون خطاب إبليس إذن لكليهما، ولو كان إبليس يعنى جسم المسيح وحده لخاطب نصفه ولم يخاطبه كله كما روى متى.

- ويؤخذ من الحديث السابق أن المسيح يشهد أن الله واحد لا إله غيره، ولا شريك له، ولا يعبد سواه، ولا يسجد إلا له، وهذا هو القول المنسوب إلى المسيح فى الأناجيل المزورة التى يؤمن بها نصارى اليوم تنطق بذلك حيث تسجل: «مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد».

(١٢)ـ الأناجيل الأربعة التى يؤمن بها نصارى اليوم تدعى أن المسيح (عليه السلام) كان ملعونا جهنمياً وابن زنا: وهذا لا يجوز على نبى، بل لا يقبل من إنسان سوىّ فكيف يمكن أن ينسحب على إله؟ (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا).

تدعى الأناجيل الأربعة التى يؤمن بها المسيحيون أن المسيح (شرفه الله عن ذلك) ملعون من السماء. واللعنة، معناها الطرد من الرحمة، فهل تليق اللعنة بمقام النبوة فضلا عن مقام الألوهية؟ وهل يمكن أن يدخل الله إلى جهنم؟!. إن النبى لا ينبغى أن يكون ملعونا، فما بالك بمن يزعمون أنه إله؟ تقول رسائل بولس أن المسيح افتداهم من لعنة الناموس إذا صار لعنة لأجلهم (بولس: ٣:١٣)، ثم قال: «كما أن المسيح مات لأجلنا، ودفن، لذلك فلابد أن نعتقد أنه دخل جهنم» !! فهل يليق بنبى ـ فضلا عن إله كما يزعمون أن يدخل إلى جهنم ثم نسبت تلك الرسائل نسب السيد المسيح (شرفه الله) للزنا فادعوا أنه ابن فارص ابن الزنا كما جاء فى العهد القديم.

فهل يتسنى لنصارى اليوم بعد ذلك أن يزعموا أن المسيح ابن مريم هو الله؟! بل كيف يتجرؤون على وصف المسيح ـ رسول الله ـ بمثل هذه الصفات الدنيئة التى تدنس الإنسان العادى، فما بالهم بنبى من أولى العزم من الرسل شرفه الله وشرف أمه الصديقة تشريفًا كبيرًا عن هذا السفه الذى يدعون[1].

وفى ذلك يقول الحق (تبارك وتعالى) فيهم:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٥- ١٥٦].

---

(١) يذكر البروتستانت أن المسيح دخل جهنم وتعذب فيها وأنه فعل ذلك فداء عن الأنفس المعذبة فى الجحيم بما فيها أنفس الرسل والأنبياء الذين مدحهم الله فى كتبهم كهابيل (تك ٤: ٤) ونوح (تك ٦: ٩) وأخنون (تك ٥: ٢٤) وداود (مز ٨٩: ٢٠) وموسى (عد ١٢: ٦) ودانيال (دا ٦: ٢٢) وأيوب (أى ١٩: ٢٥- ٢٧) ويوسف النجار خطيب مريم العذراء وإيليا (لو ٩: ٣٠، ٣١)، إلخ إلخ.

بل كيف يدخل إبراهيم وإسحاق ويعقوب جهنم وقد ورد فى إنجيل لوقا على لسان المسيح قوله: «الرب إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب وليس هو إله أموات بل إله أحياء لأن الجميع عنده أحياء» (لو ٢٠: ٣٧ و٣٨)